كلية : الاداب

القسم او الفرع : الاجتماع

المرحلة: الرابعة

أستاذ المادة : ا.د جمعة ابراهيم حسين

اسم المادة باللغة العربية : علم الاجتماع السياسي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : political sociology

اسم المحاضرة الخامسة باللغة العربيةاتجاهات نظرية الحديثة

اسم المحاضرةالخامسة باللغة الإنكليزية : theoretical trends of modern ages

إن كتاب ابن الأزرق ، الذي قسمه إلى مقدمتين وأربعة كتب ، يعد بلغة علم الاجتماع السياسي المعاصرة ، دراسة في أنماط السلوك السياسي ، فقد كانت المقدمة الأولى تبحث في تقرير ما يوطن في النظر فيا لملك عقلا ، أما المقدمة الثانية فتتناول تمهيد في أصول من الكلام فيا لملك شرعا ، أما كتبه الأربعة فقد كانت مخصصة لدراسة السياسة من جوانبها المختلفة ، حيث تناول الكتاب الأول حقيقة الملك والخلافة وسائر أنواع الرئاسات ، أما الكتاب الثاني فيعالج أركان الملك وقواعد بنائه ، ويتناول الكتاب الثالث ما يطالب به السلطان تشييدا لأركان الملك وتأسيسا لقواعده ، والكتاب الرابع خصصه لمعالجة عوائق الملك وعوارضه ، أي الصعوبات التي تصادف الحاكم في بناء النظامو ا مكانية تعرضه للانهيار وحدوث تغيرات سياسية ، وبذلك كان هذا التقسيم منطقي إلى حد كبير، حيث يبدأ بالأسس والقواعد العامة التي تقوم عليها معالجة الأنظمة السياسية ، ويتدرج بعد ذلك إلى معالجة مقومات نظام الحكم وأركانه ، ثم يتعرض إلى ما يجب أن يكون عليه سلوك الحكام للحفاظ على نظام الحكم ، ثم العوامل المؤثرة في المحافظة على نظام الحكم القائم ، والصعوبات التي تواجه ذلك ، وكيفية التغلب عليها .

ثانيا : الاتجاهات النظرية الحديثة والمعاصرة :

الاتجاهات النظرية منذ عصر النهضة : بعد أن كان المجتمع الأوروبي يرزح تحت · وطأة العوائق والقيود التي كانت تحيط به في العصور الوسطى ، فقد شهد تغيرات اقتصاديةك بيرة منذ نهاية القرن الخامس عشر كان لها أثرا كبيرا على الحياة السياسية والاجتماعية ، حيث لم يعد نظام الحكم الذي ساد في الماضي صالحا لحركة التجارة والصناعة التي اتسعت دوائرها ، نتيجة لتقدم وسائل المواصلات وفتح الأسواق الجديدة ، فكانت بداية التغيير بانهيار الكنيسة الكاثوليكية بفعل الثورة البروتستانتية التي مزقت البناء الثيولوجي القديم من داخله ، ذلك البناء الذي يتضمن توجيها أيديولوجيا لواقع متميز المعالم من حيث تفاعلاته وعلاقته وضوابطه وظواهره ونظمه الاجتماعية ، وهى المكونات التي ترجع في مرتكزاتها الأساسية إلى ما تمليه الديانة الكاثوليكية ، وساعد انهيار البناء الثيولوجي القديم إلى انهيار البناءات الاجتماعية الواقعية ، فوجد المجتمع الأوروبي نفسه في حالة من اللامعيارية واللانظامية ، فكان عليه بأن يتجه أفراده إلى التحرر أولا ، ومن

ثم إل ا بل حاجات الواقعية الملح ّة ، والبحث عن واقع جديد في إطار نظام اجتماعي مستحدث على أسس جديدة(١).

إن تلك التغيرات التي حدثت في المجتمع الأوروبي بما صاحبها من انهيارو ا عادة بناء ، قد خلقت نوعا من التفكير المستنير العلمي بعد سيادة التفكير اللاهوتي في مراحل سابقة ، وقد أسس ذلك لبداية عصر جديد يحترم تفكير الأفراد واستخدام العقل في حل المشاكل الاجتماعية والسياسية ، و معالجة الانحطاط الأخلاقي المسيطر على المجتمع الأوروبي في حينه ، بحيث انعكس كل ذلك على التوجهات السياسية التي طورت على يد العديد من المفكرين الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين ، الذين عمدوا ، كما هو الحال لدى الطبقة الوسطى التجارية ، إلى إحداث تغييرات اجتماعية وسياسية تهدف إلى تنظيم المجتمعات الأوروبية بما يتلاءم مع العصر الجديد .

Social Contract Theories : – نظريات العقد الاجتماعي

برزت نظريات العقد الاجتماعي ، والتي يطلق عليها أحيانا نظريات العقد السياسي ، في أعقاب عمليات الانهيار والتجديد في البنى المختلفة التي تعرض لها المجتمع الأوروبي إبان القرنين الخامس عشر والسادس عشر، لتعكس مرحلة تاريخية سياسية جديدة لم تعرفها المجتمعات الإنسانية من قبل ، وحيث أن نقطة البداية قد تأسست خلال هذه الفترة ، إلا أن صياغة المجتمع الجديد قد استغرقت الفترة ما بين عصر النهضة وعصر التنوير، أي الفترة التي استمرت حتى نهاية القرن الثامن عشر، وطرحت خلالها تصورات عديدة متباينة ومتناقضة أحيانا ، إلا أنها جميعا تتفق على عدم كفاءة النظام الثيولوجي القديم وتجسداته الدافعية لتنظيم الحياة المجتمعية ، والبحث عن تأسيس نظام جديد يعطي للإنسان مساحة أرحب للمشاركة في صنع النظام الذي يدعم مشاركته في المجتمع ويساعد على النمو الملائم لإمكانياته ، لذا فإن الفكر السياسي خلال تلك الفترة ، خطى خطوات سريعة نحو طرح العديد من الأفكار التي من شأنها أن تعزز الس فيالسياسية ، وتضمن وجود حدود شرعية متعاقد عليها بين الحكام والمحكومين(١)، تمثل ذلك في الآراء التي جاء بها كل من " هو بز " و " لوك " و " روسو "، فيما كون بعد ذلك نظريات العقد الاجتماعي .

١٦٧٩) : دون شك فإن العالم أو المفكر أو الفيلسوف ، – ـ١ توماس هو بز (١٥٨٨

لابد وأن يتأثر بالظروف والمعطيات الموضوعية والذاتية ، حيث تعكس طبيعة الظروف الاجتماعية والسياسية نوعية التفكير والاهتمامات التي يتصدى لها ، وهذا ما حدث ل " توماس هو بز "، حيث كانت تنتشر حالة من الفوضى الشاملة سادت المجتمع الأوروبي بشكل عام ، وعلى وجه الخصوص المجتمع الإنجليزي الذي عايشه " هو بز "، و الذي خضع لمجموعة من الصراعات والحروب الأهلية التي جعلت الحياة السياسية غير مستقرة ، فقد تم إلغاء مبدأ الوراثة المؤكد بالحق الإلهي في مجال العلاقات الاجتماعية ، فأصبحت الأرض تباع وتشترى وترهن ، ومن ثم لم تعد هناك العلاقات التي كانت سائدة حتى القرن السابع عشر بين السادة والعبيد ، بل ظهرت علاقات من نوع جديد أدت إلى ظهور الحاجة للتأكيد على التعاقدات، لذا نجد هو بز يعرف الظلم بأنه عدم إنجاز العهود .

كذلك فإنه فيا لمجال السياسي تم إلغاء مبدأ الوراثة أيضا ، ما دعى هو بز إلى التأكيد على التعاقد الاجتماعي كأساس للحكم الملكي ، وقد أيد أفكار " بودان " عن سيادة الدولة أو السلطة السياسية المطلقة التي تضمن أن يعيش الأفراد في إطارها في حالة من المساواة والاتفاق ، ويمكن أن نلخص بعض أفكار " هو بز " في النقاط التالية :

- من أهم أفكاره السياسية ، دراسته للطبيعة الإنسانية ، مستعينا بالمناهج الرياضية والتحليلية والسيكولوجية التي تطورت بها العلوم الطبيعية ، وبذلك استبعد المناهج الميتافيزيقية واللاهوتية التي كانت سائدة خلال العصور الوسطى ، وقد فسر كل من الدولة والمجتمع تفسيرا ماديا ، فقال إن الإنسان وجد نفسه مع الآخرين حيث يعيش الجميع في حالة من الفوضى واللانظامية وغياب الرادع القانوني ، ما أدى إلى انعدام إمكانية العيش بسلام وطمأنينة ، وقد أطلق على هذه الحالة الأولية اسم (الحالة الطبيعية)، التي لا يخضعيخضع فيها الإنسان إلى قوانين الحركة الطبيعية ، بل يكون له عالمه الطبيعي الذاتي الذي يتكون من مجموعة من الغرائز والرغبات والدوافع النفسية التي يسعى لتحقيقها ، إذن فإن مصدر التغيير في الإنسان حسب رأيه ، هو تحقيق الأنانية الفردية .
- لا يمكن أن يكتب الاستمرار للحياة الاجتماعية الطبيعية التي كانت توجد في المجتمعات السابقة على وجود المجتمعات البشرية ، وذلك لوجود دوافع أخرى للإنسان،

تدعوه إلى التحرك نحو الأمن والاستقرار والسلام والتعاون ، حيث ينتقل الإنسان بذلك من الحالة الطبيعية المتوحشة إلى حالة الاجتماع أو المجتمع المدني Civil Society، وذلك لا يتم إلا عن طريق التعاقد الاجتماعي .

o إن حالة الفقر التي كانت تعالج قديما بالإحسان المسيحي ، وحالة البطالة ، أصبح لزاما على الدولة معالجتها بخلق مناشط جديدة أو بالهجرة ،و ا ذا لم يتم ذلك فإن أفراد المجتمع يجدون أنفسهم في حالة حرب مع بعضهم البعض ، والتي أطلق عليها (حرب الكل ضد الكل) .

o علاجا لذلك ، فإن هو بز يدعو إلى دعم الملكية المطلقة ، باعتبارها في نظره ، أكثر الحكومات استقرارا ونظامية ، وهو بذلك لا يهدف إلى دعم الملكية في حد ذاتها بقدر ما يهدف إلى دعم حكومة قوية ، وأن يكون مصدر القانون ليس النظام الاجتماعيو ا نما سلطة الحاكم .

o يرى هو بز بأنه لا حاجة للجماعات الوسيطة بين الفرد والدولة ، كالكنيسة والنقابات، التي ينظر إليها على أنها مصدر لتفريخ الشقاقات ، وأنها تجاوز على سيادة الدولة والحاكم ، و نظرا لانتشار الفردية بسبب سقوط الجماعات الوسطية ، فيجب أن يتم التوازن بسلطة مركزية قوية ومطلقة ، حيث ى عطى صاحب السلطة السياسية أو ذات السيادة ، الكثير من الحقوق والصلاحيات التي تخوله تحقيق مهامه ومسؤولياته ، وذلك عن طريق التعاقد الذي يتم بين المحكومين والحاكم ، ولا ينبغي لأفراد المجتمع ولا يحق لهم القيام بالثورة أو تغيير شكل نظام الحكم ، وعدم استطاعة صاحب السلطة أن يتخلى عن السيادة

الممنوحةالممنوحة إليه ، وبذلك يكون الحاكم هو " اللوفثان " أو الإلهال بشر ي الذي يسيطر سيطرة مطلقة على السلطة والدولة .

الذي يعده الدارسين ، Leviathan " لقد جاءت أفكار هوبز هذه في مؤلفه "التنين لأعماله ، بأنه قد قدم حلا لبناء نظام اجتماعي يتحول بالأفراد من الحالة الطبيعية اللانظامية إلى المجتمع المدني والدولة الحديثة ، إلا أنه كان حلا ديكتاتوريا .

١٧٠٤) : يتفق " لوك " مع " هو بز " في أن الناس يكونون – ـ٢ جون لوك (١٦٦٢ في الحالة الطبيعية قبل التحول إلىا لمجتمع المنظم ، إلا أن نظر ته للأفراد في إطار هذه

الحالة يختلف تمام الاختلاف عن نظرة " هو بز "، فير ى أن للإنسان حقوقا مطلقة ، لا يخلقها المجتمع وا نما أستحقها الإنسان بحكم إنسانيته ، وأول هذه الحقوق الحرية التي عنها تنشأ المساواة والحقوق الأخرى ، وهى حق الملكية والحرية الشخصية وحق الدفاع عنهما ، كما يرى بأن السلطة السياسية تنشأ بالتراضي المشترك والتعاقد الإرادي ، لأن أعضاء المجتمع جميعهم أفراد ضمن الحالة الطبيعية، وقد تعاقدوا لصيانة حقوقهم الطبيعية ، وعهدوا لأحدهم بالحفاظ على هذه الحقوق لضمان بقاء المجتمع واستمراره .

لقد حرص " لوك " بأن يطور أفكار " هو بز " ولكن من منظور مختلف ، لذا فإن مساهمته الفكرية كانت تطويرا لنظرية العقد الاجتماعيأ يضا ، ومن الممكن أن نلاحظ ذلك من خلال ما يلي :

رغم أن أفكار " لوك " تنطلق من نقطة وجود الحالة الطبيعية مثل " هو بز " ، إلا أنه يختلف معه في تحليله لهذه الحالة ، ففي حين يرى " هو بز " أن الناس في الحالة الطبيعية متوحشين يريد كل واحد منهم أن يقاتل الآخر لإشباع حاجاته ، فإن " لوك " يرى أن الحالة الطبيعية كانت صالحة جدا لحياة الإنسان مع غيره من أبناء جنسه ، يسودها الوئام والطمأنينة والاستقرار ، وتحكمها قواعد عامة كالقوانين الطبيعية التي عرفتها المجتمعات البشرية في تلك الفترة ، حيث أن قانون الطبيعة يحدد تحديدا كاملا كل حقوق الإنسان وواجباته.

ى ر ى " لوك " بأنه رغم تلك السمات الإيجابية المميزة لحياة الأفراد في الحالة الطبيعية ، إلا أن عيبها يكمن في أنها لا تشمل على تنظيم مثل القضاء والقانون المكتوب والعقوبات المحددة ، لذا فإن القانون الوضعي لا يضيف شيئا إلى الصفة الأخلاقية التي تتسم بها أنواع السلوك المختلفة ، إلا أنه يهيئ جهازا للتنفيذ الفعال (١) .

يؤكد " لوك " على ضرورة الفصل بين الكنيسة والدولة والعمل على سيادة الحرية في إطار تأكيده على قيام المجتمع المدني ، كما أيد الملكية الخاصة باعتبارها حق مكفول للجميع ، وهي حق طبيعي يقوم أساسا على العمل وليس التملك أو الحيازة فقط .

على عكس " هو بز " الذي يرى بأن حالة الفطرة الأولى ، أي الحالة الطبيعية ، تحكمها الأهواء والغرائز والأنانية ، وبذلك رأى بأن التعاقد يجب أن يتم على أساس أن يتنا ز ل

الأفراد عن كل حقوقهم للحاكم الذي تكون له السلطة المطلقة ، فإن " لوك "ى ر ى بأن حياة الأفراد في الحالة الطبيعية يحكمها العقل ، لذلك فإن الأفراد لا يتنازلون في العقد المبرم مع الحاكم عن كل حقوقهم الطبيعية إلا بالقدر اللازم لكفالة الصالح العام .

في حين أن العقد الاجتماعي عند هو بز يتم بين الأفراد فقط ، فإن الحاكم في رأي "لوك" يكون طرفا في التعاقد ، وبذلك يكون الحاكم ، فردا أو جماعة ، مقيدا بالاتفاق المتعاقد عليه لا يمكن له الخروج عنه .

يلتزم الحاكم ، أو السلطان ، باعتباره طرفا في العقد ، بتسخير سلطته في تحقيق الصالح العام واحترام الحقوق الطبيعية للأفراد ، في حين أنه إذا أخل بالالتزام فإنه يحق للأفراد فسخ العقد والثورة عليه .

يعد المتخصصين " لوك " من مؤسسي النظام الملكي (المقيد) ، أو ما يسمى في أدبيات علم الاجتماع السياسي الآن بالملكية الدستورية ، لذلك فإن الحل الذي قدمه لمشكلة بناء النظام السياسي في المجتمعات يعد من المنظور التقليدي حلا ديمقراطيا .

١٧٧٨) : مثل غيره من المفكرين تأثر " روسو " – ٣- جان جاك روسو (١٧١٢ بالظروف الموضوعية التي سادت مجتمعه الذي يعيش فيه ، فتأثر بالواقع السياسي

فرنسا من أجل تنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية لأفراد المجتمع ، لجأ "روسو" إلى بناء القوة أو النسق الطبيعي في المجتمع ، حتى يستطيع أن يطلب من الأفراد الخضوع الكامل له ، وهذا ما تجلى في تركيزه علىا لإر ادة العامة التي لا تتجز أ ولا تغترب ، وهي غير محددة النطاق ، كما أنها تتطلب ولاء وطاعة من قبل الفرد في المجتمع ، بذلك يلتزم كل مواطن بأن يقدم للدولة كل ما تطلبه منه ، ويؤكد أن الحضور الكامل للدولة في حياة الفرد لا يعتبقره را ، وا نما يعتبر أساسا ضروريا لحريته(١) .

نظرا لاستحالة العو دة إلى الحالة الطبيعية الأولى ، ولظهور الطمع والحسد والأنانية والسرقة والقتل في حالة المجتمع ، فقد أضطر المجتمع إلى تنظيم شئونه عن طريق التعاقد الاجتماعي بين أفراده ليعيشوا حياة يتوفر فيها كل ما يشبع حاجاتهم الأساسية من خلال إطاعة القانون الذي يصون حريتهم ويحميهم من العدوان ، فيتنازل كل فرد عن أنانيته لمصلحة الجميع ، أي ما يسمى الآن بالمصلحة العامة ، لكي يضمن حقوقه التي

كفلها له القانون ، وتقوم التربية بجانب القانون بدور هام في تثبيت القيم الاجتماعية والأخلاق العامة حتى يمكن أن يستمر المجتمع ويحتفظ بتوازنه ، والدولة هي الهيئة التي تشرف على سيادة القانون(٢)، وبذلك فقد قدم " روسو " حلا لمشكلة بناء النظام السياسي يقترب من الديمقراطية الشعبية المباشرة .

الاتجاهات النظرية في العصر الحديث : شهدت الفترة التاريخية التي عايشتها · المجتمعات الأوروبية ، والتي أتفق على تسميتها بعصر الإصلاح والتنوير والممتدة تقريبيا حتى نهاية القرن السابع عشر ، الكثير من الأحداث والتغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية ، التي أدت إلى انتقال تلك المجتمعات نقلات نوعية كبيرة ، كما تجسدت أهم نتائجها كذلك خلال القرن الثامن عشر ، التي كان من أبرزها قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩) ، بالإضافة إلى التطور الاقتصادي الصناعي في بريطانيا ، و شهدت ألمانيا) خلال تلك الحقبة الزمنية تقدما ثقافيا ملحوظا ، فقد أدى تعدد هذه الأحداث ال

والسياسية